م3: الأسلوبية

تمهيد:

لقد انبثقت عن الحداثة الغربية مجموعة من المناهج والنظريات النقدية، التي شكّلت نقلة نوعية على الصعيد دراسة الأدب من جهة، وكانت من جهة أخرى تمثّلا لما حملته الحداثة من أفكار وفلسفة تجلّت على الصعيد النقدي مثلما تجلّت في ميادين أخرى، فمثلما كان التوجّه الحداثي عامة قد تبنى نزعة انقلابية على ما كان سائدا، تبنت المناهج والنظريات النقدية هي الأخرى ــ متأثرة بخلفياتها ــ نزعة ثورية على ما كان سائدا قبلها، فانقلبت على التوجه السياقي في النقد والذي فرض نفسه لعقود من الزمن، والذي انبثقت عنه مناهج تهتم بما هو محيط بالنص. ظهرت مجموعة من المناهج النسقية، اهتمت بدراسة النص الذي يشكّل مركز العملية الإبداعية، وتشكّل الأسلوبية أحد المناهج المهمة التي تمخّضت عن الفكر الحداثي في النقد.

1ــ الأسلوبية:

تطلق الأسلوبية على "دراسة الأسلوب عبر الانزياحات اللغوية والبلاغية في الكتابة الأدبية، أو هي ما يختاره الكاتب من كلمات وتراكيب، وما يؤثره في كلامه عما سواه، لأنه يجده أكثر تعبيرا عن أفكاره ورؤاه"[1]، ولقد أسس شارل بالي للأسلوبية مثلما أسس دي سوسير للسانيات، إذ كان بالي تلميذ هذا الأخير، وهذا ما يفسّر علاقة علم الأسلوب مع علم اللسان، حيث دعا بالي إلى دراسة العناصر التعبيرية للغة من حيث محتواها وتأثيرها، لينظم مجموعة من المفكرين والنقاد إلى دعوة بالي ويؤيدوه في تأسيس الأسلوبية وفرض شرعيتها،

---

[1] : نور الدين السد، الأسلوبية وتحليل الخطاب دراسة في النقد العربي الحديث، ج1، دار هومه، ط1، الجزائر العاصمة، الجزائر، 2010، ص11.

ومن أهم هؤلاء: رومان جاكبسون، ليو سبتزر، ميشال ريفاتير، ستيفن أولمان، دي لوفر، ميخائيل باختين، هنريش بليث...

إن الحديث عن الأسلوبية كمنهج نقدي، يقودنا ــ لا محالة ــ بداية نحو الحديث عن "الأسلوب"، حيث نلاحظ أن الدارسين وضعوا له عدة تعريفات، لكن هذه التعريفات تبقى في النهاية مبنية على مبدأين هما: "مبدأ الخصوية الذي يقر بأن الأسلوب هو طريقة التعبير المميزة لكاتب معين أو لمجموعة أدبية...، والمبدأ الفني الجمالي القائم على ظهور سمات لغوية في نص أو نصوص ذات بعد جمالي..."[1]

تبقى الأسلوبية في نهاية المطاف مهما اختلف الدارسون في تقديم تعريف الأسلوب، "نتيجة تزاوج بين اللسانيات والنقد الأدبي، أو هي محاولة لتوظيف اللسانيات منهجا ونتائج في دراسة النصوص ابتغاء الكشف عن ظاهرة الأسلوب بتعقيداتها"[2]، ولقد وجدت الأسلوبية مكانا لها في النقد الأدبي أو في لغة النصوص الأدبية باستخدامها "المناهج اللسانية في الوصف الدقيق والموضوعي لمسألة الاستعمال الأدبي للغة"[3] بصفة خاصة، لأن اهتمامها ينصب حول خصائص اللغة مقترنة بعامل التأثير، وهو ما يبيّن أن الأسلوبية تهتم بالاستعمال الفني للغة، وهذا الامتزاج بين ما هو لساني وأدبي، نابع في حقيقة الأمر من "تصنيف عمودي للحدث الإبلاغي، فإذا كانت عملية الإخبار علّة الحدث اللساني أساسا، فإن غائية الحدث الأدبي تكمن في تجاوز الإبلاغ إلى الإثارة"[4]، وهنا تركّز الأسلوبية على هذا التحوّل في اللغة من فعل الإبلاغ أو الإخبار إلى فعل التأثير أو الوظيفة التأثيرية.

---

[1] : مسعود بودوخة: الأسلوبية وخصائص اللغة الشعرية، عالم الكتاب الحديث، ط1، إربد، الأردن، 2011، ص15 ص16.

[2] : المرجع نفسه، ص08.

[3] : ميكائيل رفاتير: معايير تحليل الأسلوب، تر وتع وتق حميد لحمداني، منشورات دراسات سال، ط1، الدار البيضاء، المغرب، 1993، 16.

[4] : عبد السلام المسدي، والأسلوبية الأسلوب، الدار العربية للكتاب، د ت، تونس، تونس، ص35.

3ــ اتجاهات الأسلوبية:

أــ الأسلوبية التعبيرية: تزعّم شارل بالي هذا الاتجاه، حيث رأى أن عمل الدارس الأسلوبي هو "البحث عن القيمة التأثرية لعناصر اللغة المنظمة والفاعلة المتبادلة بين العناصر التعبيرية التي تتلاقى لتشكيل نظام الوسائل اللغوية المعبّرة"[1]، وتركّز الأسلوبية هنا على دراسة هذه العناصر من حيث محتواها التعبيري والتأثيري، وهي في هذه الحالة تجيب عن سؤال، كيف يكتب الكاتب؟

ب ــ الأسلوبية النفسية: ينطلق أصحاب هذا الاتجاه من منطلق ذاتية الأسلوب وفردانيته، لذلك اهتموا بدراسة "العلاقة بين وسائل التعبير والفرد، دون إغفال علاقة هذه الوسائل التعبيرية بالجماعة التي تستعمل اللغة المنتج فيها الخطاب الأدبي المدروس"[2]، ولقد تزعّم هذا الاتجاه ليو سبتزر، حيث أولى اهتماما بالغا بالعلاقة بين الوقائع الأسلوبية في النصوص الأدبية وظواهر الحياة.

ج ــ الأسلوبية البنيوية: تهتم الأسلوبية البنيوية أساسا في تحليل النص الأدبي "بعلاقات التكامل والتناقض بين الوحدات اللغوية المكونة للنص وبالدلالات والإيحاءات، التي تنمو بشكل متناغم"[3]، وتهدف الأسلوبية البنيوية إلى التوصّل إلى تلك القوانين التي تنظّم الظواهر الأسلوبية في الخطاب الأدبي، ولقد تبنى هذا الاتجاه مرسيل كروزو ومخائيل رفاتير.

د ــ الأسلوبية الإحصائية: يتوسّم هذا الاتجاه الأسلوبي "الواقع الإحصائي للنص، تمهيدا لبلورة معطيات تدل على صفات الخطاب الأدبي في أدواته البلاغية والجمالية"[4]، حيث

---

[1] : نور الدين السد، الأسلوبية وتحليل الخطاب دراسة في النقد العربي الحديث، ص62.

[2] : المرجع نفسه، ص70.

[3] : المرجع نفسه، ص86.

[4] : المرجع نفسه، ص103.

يهدف إلى تحقيق مقاربة موضوعية مادية في وصف الأسلوب، ولقد تبنى هذا التوجه فول فوكس.

4ــ محددات الأسلوب:

أ ــ الإضافة: يقصد به أنه شيء "يزاد على اللغة تدخل به عبر ما يمكن أن يميّز الكلام بحضور سمة أو علامة من العلامات الأسلوبية"[1]، وهو الأمر الذي يستدعي التأثير ما دام هناك إضافة، ومن ورائها الغاية التي يقصدها منشئ التعبير.

ب ــ الاختيار: والمقصود هنا أن المنشئ "يستطيع أن يختار من إمكانيات اللغة ما يستطيع، وما يرى أنه الأقدر على خدمة رؤيته وموقفه وما يمكن أن يكون قادرا على خلق استجابة معينة عند المتلقي"[2]، وهنا تركيز على فعل الاختيار الذي يعتمد بالأساس على ثروة المنشئ اللغوية، ويمكن اعتبار الاختيار قبل كل شيء العامل الأول في نشأة فكرة الأسلوب.

ج ــ الانحراف/الانزياح: أي "خروج اللغة عن مألوفها"[3]، وهنا يفتح المجال على إمكانية وجود عدة أوجه للانحراف، لكن المقصود هو الانحراف الذي يمس اللغة، ويظهر جليا أن الانحراف أكثر جدوى في تحديد الأسلوب من سابقيه، إذ إنه تتجلى عبره الانزياحات المختلفة للنص.

5ــ الأسلوبية في النقد العربي:

لقد كان عبد السلام المسدي أول من اعتمد "الأسلوبية" وروّج لها على الصعيد العربي، حيث ترجم مصطلح (Stylistique) بـــ "الأسلوبية" أحيانا وأحيانا أخرى بمصطلح "علم الأسلوب"، بينما تبنى سعد مصلوح مصطلح "الأسلوبيات" مقارنة بالمصطلحات التي جرى

---

[1] : موسى ربابعة: الأسلوبية مفاهيمها وتجلياتها، دار جرير للنشر والتوزيع، ط1، عمان، الأردن، 2014، ص34.

[2] : المرجع نفسه، ص35.

[3] : المرجع نفسه، ص48.

تداولها في اللغة العربية والمقرونة بالعلوم مثل: الرياضيات، الطبيعيات، الصوتيات...، في حين يتبنى صلاح فضل مصطلح "علم الأسلوب"...، إلا أن المصطلح الأكثر استعمالا على الصعيد العربي ترجمة وتأليفا، هو "الأسلوبية"، ومن بين أهم النقاد العرب الذين تبنوه: عبد السلام المسدي، حميد لحمداني، منذر عياشي، أحمد درويش، عزة آغا مالك...، لكن رغم اختلاف هؤلاء الباحثين في ترجمة المصطلح وصياغته، إلا أن جميعهم "يتّفق على أن الأسلوبية وعلم الأسلوب والأسلوبيات هي الدرس العلمي للأسلوب الأدبي"[1].

[1] : نور الدين السد: الأسلوبية وتحليل الخطاب دراسة في النقد العربي الحديث، ص12.